جامعة الجيلالي بونعامة – خميس مليانة –

كلية العلوم الاجتماعية والانسانية

قسم علوم الاعلام والاتصال

محاضرات في مقياس

الأنتروبولوجيا الثقافية الاجتماعية

السنة الثانية إعلام واتصال

إعداد: أ. بن خيرة محمد الأمين

السنة الجامعية: 2022-2023

فهرس المحتوى

المحاضرة الأولى: مفاهيم حول الأنتروبولوجيا.

المحاضرة الثانية: طبيعة الأنتربولوجيا.

المحاضرة الثالثة: أهداف الأنتروبولوجيا.

المحاضرة الرابعة: نشأة الأنتروبولوجيا وتاريخها.

أ – في العصر القديم.

ب – في العصور الوسطى.

جـ – في عصر النهضة الأروبية.

د – في القرن العشرون.

المحاضرة الخامسة: الفرق بين الأنتروبولوجيا الاجتماعية والثقافية.

المحاضرة الأولى: مفاهيم حول الأنتروبولوجيا.

مفهوم الأنتروبولوجيا:

لفظة أنتروبولوجيا Anthropology كلمة انجليزية مشتقة من الأصل اليوناني المكون من مقطعين: أنتروبوس Anthropos ومعناه "الإنسان"، ولوجوس Locos ومعناه علم، وبهذا يصبح معنى الأنتروبولوجيا من حيث اللفظ "علم الانسان"، أي العلم الذي يدرس الانسان.

كما تعرف الأنتروبولوجيا بأنها علم دراسة الانسان طبيعيا واجتماعيا وحضاريا أي؛ فالأنتروبولوجيا لا تدرس الإنسان ككائن وحيد بذاته، أو منعزل عن أبناء جنسه، إنما تدرسه بوصفه كائنا اجتماعيا بطبعه، يحيا في مجتمع معين له ميزاته الخاصة في مكان وزمان معينين.

وقد تطور المصطلح حسب هيدون Haddon كمايلي:

1- استعمل ارسطو المصطلح بمعنى "الشخص الذي يتحدث عن نفسه"

2- استعمله الألماني هونت Hunt عام 1501 عنوانا لكتابه "الأنتروبولوجيا" للدلالة على الخصائص التشريحية لجسم الانسان.

3- ظهر مرة أخرى مع كوبيلا Copella عام 1533 في كتابه L´Antropologia بمعنى الصفات الشخصية والفردية.

فالأنتروبولوجيا تهتم بدراسة أعمال الإنسان وسلوكاته ضمن بيئته الإجتماعية، من خلال التركيز على كل ما يتعلق به سواء كان ذلك (نفسيا، اجتماعيا، حضاريا، ثقافيا، لغويا...).

المحاضرة الثانية: طبيعة الأنتربولوجيا.

إن الشعوب الناطقة باللغة الانجليزية جميعها تطلق على علم الأنتروبولوجيا (علم الانسان وأعماله) بينما يطلق المصطلح ذاته في البلدان الأوروبية غير الناطقة بالإنجليزية عليه بـ (دراسة الخصائص الجسمية للإنسان)، ويصل هذا الاختلاف إلى طبيعة علم الأنتروبولوجيا، فبينما يعني في أوروبا الأنتروبولوجيا الفيزيقية، وينظر إلى علمي الآثار واللغويات كفرعين منفصلين، فإن الأمريكيين يستخدمون مصطلح (الإثنولوجيا أو الإثنوغرافيا) لوصف (الإثنوجرافيا الثقافية)، والتي يطلق عليها البريطانيون (الأنتروبولوجيا الإجتماعية).

ففي إنجليترا مثلا، يطلق مصطلح الأنتربولوجيا على دراسة الشعوب وكياناتها الاجتماعية، مع ميل خاص للتأكيد على دراسة الشعوب البدائية، أما في أمريكا فيرى العلماء أن الأنتروبولوجيا هي علم دراسة الثقافات البشرية البدائية والمعاصرة، في حين أن علماء فرنسا يعنون بهذا المصطلح دراسة الإنسان من الناحية الطبيعية، أي العضوية.

وتبعا لما تم التطرق إليه نجد أن هناك صعوبة في تحديد طبيعة الأنتروبولوجيا من منطقة لأخرى ومن بلد لآخر، وهو ما يفتح المجال لتحديد بعض المفاهيم أكثر في صورة (المنوغرافيا، الإثنوغرافيا، الإثنولوجيا...).

واستنادا للمنطلقات السابقة، فقد حددت الباحثة الأمريكية (مارغريت ميد) طبيعة علم الأنتروبولوجيا وأبعاده بقولها: "إننا نصف الخصائص الإنسانية للجنس البشري (البيولوجية والثقافية) كأنساق مترابطة ومتغيرة، وذلك عن طريق نماذج ومقاييس ومناهج متطورة، كما تهتم أيضا بوصف النظم الاجتماعية والتكنولوجية وتحليلها، إضافة إلى البحث في الإدراك العقلي للإنسان وابتكاراته ومعتقداته ووسائل اتصالاته، وبصفة عامة – نحن الأنتروبولوجيين– لتفسير نتائج دراستنا والربط فيما بينها في إطار نظريات التطور، أو ضمن مفهوم الوحدة النفسية المشتركة بين البشر.

المحاضرة الثالثة: أهداف الأنتروبولوجيا.

لكل علم أهداف معينة يسعى للوصول إليها وتحقيقها، وقد نجد أن بعض العلوم تتفق في (التفسير، التنبؤ والتحكم)، لكن حسب "رالف لنتون" نجد أن أهداف الأنتروبولوجيا تتمثل فيمايلي:

– وصف المظاهر البشرية والاجتماعية والثقافية والجسدية بشكل دقيق، من خلال معايشة ذلك المجتمع وتسجيل كل سلوكاته اليومية.

– تصنيف الأنماط المعيشية ومظاهرها إلى أشكال واقعية تسمح بتفسير حياة الأفراد وتحديد تطور هذه الأصناف حضاريا وإنسانيا.

– تتبع نمط التغير الإنساني وأسبابه ونواتجه بربط الواقع الحاضر بالتراث السابق، والمقارنة بينهما وبين المجتمعات الأخرى أيضا.

– التنبؤ بحركة المجتمع المستقبلية في عمقها وشموليتها طبقا للدراسة المنجزة، بالرغم من سيطرة التنظيمات العرقية في هذا العلم واستمراريتها ومحاولة المعاصرين تجاوزها.

وتبعا للأهداف سالفة الذكر يتبين لنا أن الأنتروبولوجيا تهدف لدراسة الإنسان ووصفه سواء في تركيبته الجسدية أو العرقية وكذا نظم القرابة، بالإضافة للأعمال الثقافية التي يقوم بها، لهذا فقد نجد أن طريقة أو أسلوب المعايشة والملاحظة المباشرة يعتبران من بين أهم التقنيات المساعدة في الدراسة العلمية للأنتروبولوجيا، كمعايشة أفراد وتسجيل أحداثهم اليومية، كما قد يلجأ الباحث الأنتروبولوجي إلى المنهج المقارن وكذا التاريخي من خلال دراسة الحاضر وربطه بالماضي، سواء من حيث القيم، العادات، التقاليد، اللغة ،الديانة...

وإذا كان علم الأنتروبولوجيا بدراساته المختلفة قد استطاع أن ينجح في إثبات الكثير من الظواهر الخاصة بنشأة الإنسان وطبيعته، ومراحل تطوره الثقافي/الحضاري، فإن أهم ما أثبته هو أن الشعوب البشرية بأجناسها المتعددة، تتشابه إلى حد التطابق في طبيعتها الأساسية، ولا سيما في النواحي العضوية والحيوية.

المحاضرة الرابعة: نشأة وتطور الأنتروبولوجيا:

أولا: في العصر القديم: يتفق معظم علماء الاجتماع والأنثربولوجيا على أنّ الرحلة التي قام بها المصريون القدماء في عام1493 قبل الميلاد إلى بلاد بونت (الصومال حاليا) بهدف التبادل التجاري، تعد من أقدم الرحلات التاريخية في التعارف بين الشعوب، وقد كانت الرحلة مؤلفة من خمسة مراكب، على متن كل منها 31 راكبا، بهدف تسويق بضاعتهم النفيسة التي شملت البخور والعطور، وقد نتج عن هذه الرحلات اتصال المصريين القدماء بأقزام إفريقيا، وتأكيدا لإقامة علاقات معهم فيما بعد.

أ- عند الاغريق (اليونانيين القدماء):

يعد المؤرخ الاغريقي (اليوناني) هيرودوتس Herodotus الذي عاش في القرن الخامس ق/م، وكان محبا للأسفار، أول من صور أحلام الشعوب وعاداتهم وطرح فكرة تنوع الفوارق بينهم، من حيث النواحي السلالية والثقافية واللغوية والدينية، لذلك يعتبره معظم مؤرخي الأنتروبولوجيا الباحث الأنتروبولوجي الأول في التاريخ.

- يعتبر أول من قام بجمع معلومات وصفية ودقيقة عن عدد كبير من الشعوب غير الأروبية (حوالي 50 شعبا)، تناول بالتفاصيل تقاليدهم، عاداتهم، ملامحهم الجسمية وأصولهم السلالية، إضافة إلى أنه قدم وصفا دقيقا لمصر وأحوالها وشعبها وهو قائل العبارة الشهيرة: "مصر هبة النيل".

- لاحظ أن كهنة المعابد يطلقون شعر رؤوسهم، في حين أن كهنة المصريين بالعكس يحلقونها، وخلال فترة إصابة أحد الأقارب فأغلب الشعوب تحلق رأسها، على عكس المصريين الذين يطلقون شعور رأسهم ولحاهم في فترة الحداد.

يمكن الإشارة أيضا إلى أعمال أرسطوا في وصف تطور الكائنات وارتقائها، ووصف أنماط الشعوب وفقا لأنظمتها السياسية وحكوماتها.

وتعتبر أعمال هيرودوتس كإسهامات أولية في حقل الأنتروبولوجيا، من خلال اعتماده على أسلوب الملاحظة في وصف هذه الشعوب من حيث ثقافاتهم وحياتهم وكذا نظمهم الاجتماعية، وهو ما ينطوي على بعض أساسيات المنهج الإثنوغرافي، وهو الذي يعطي مصداقية للبحوث أكثر من أساليب الوصف والتخيل.

ب- عند الرومان:

امتدت الامبراطورية الرومانية بحوالي ستة قرون، تابع من خلالها الرومان ما طرحه اليونانيون من مسائل وأفكار حول بناء المجتمعات الانسانية وطبيعتها، وتفسير التباين والاختلاف فيما بينهما، ولكنهم لم يأخذوا بالنماذج المثالية المجردة للحياة الانسانية، بل وجهوا دراساتهم نحو الواقع الملموس والمحسوس، ومع ذلك لا يجد الأنتروبولوجيون في الفكر الروماني ما يمكن اعتباره كإسهامات أصيلة في نشأة علم مستقل لدراسة الشعوب وثقافاتهم أو تقاليدهم راسخة لمثل هذه الدراسات.

ولكن يمكن أن يستثنى من ذلك أشعار (كارلوس لوكريتيوس) التي احتوت على بعض الأفكار الإجتماعية الهامة، فقد تناول موضوعات عدة عرضها في ستة أبواب رئيسية، ضمنها أفكاره ونظرياته عن المادة وحركة الأجرام السماوية وشكلها وتكوين العالم... وخصص الباب السادس لعرض فكرتي التطور والتقدم، حيث تحدث عن الانسان الأول والعقد الاجتماعي ونظامي الملكية والحكومة، ونشأة اللغة، إضافة إلى مناقشة العادات والتقاليد والفنون والأزياء والموسيقى، كما استطاع لوكريتيوس أن يتصور مسار البشرية في عصور حجرية ثم برونزية ثم ذهبية.

من خلال ما سبق يتضح أن الخبرة الأنتروبولوجية للرومان لم يتم تدوينها وتسجيلها على شكل كتب وأفكار نظرية، باعتبار أن الرومان اهتموا بالحملات والعمليات العسكرية.

كما رأو الرومان أن لهم أهمية وميزة عن باقي الشعوب من خلال تميزهم بالعنصرية، فقد تنبه الرومانيون بقوة لمسألة التقسيم العنصري للشعوب، بحيث أنهم قد يمنحون الجنسية الرومانية للشخص الذي رضو عنه.

جـ- عند الصينيين القدماء

يعتقد بعض المؤرخين، ولا سيما الأنتروبولوجيون منهم، أنه على الرغم من اهتمام الصينيين القدماء بالحضارة الرومانية وتقديرها، فلم يجدوا ما ينافس حضارتهم، بحيث كان الصينيون القدماء يشعرون بالأمن والهدوء داخل بلادهم، وكانوا مكتفين ذاتيا من الناحية الاقتصادية المعاشية، حتى أن تجارتهم انحصرت في تبادل السلع والمنافع، من دون أن يكون لها تأثيرات ثقافية عميقة، فلم يعبأ الصينيون في القديم بالثقافات الأخرى خارج حدودهم، ومع ذلك لم يخل تاريخهم من بعض الكتابات الوصفية لعادات الجماعات البربرية، التي كانت تتسم بالازدراء والاحتقار.

وقد تميز الصينيون القدماء بالعنصرية، بحيث كانوا يعتقدون –كالرومان– أنهم أفضل الخلق، وأنه لا وجود لأي حضارة أو فضيلة خارج جنسهم، بل كانوا يرون أنهم لا يحتاجون إلى غيرهم في شيئ...، ولكي يؤكد ملوكهم هذا الواقع فقد أقاموا "سور الصين العظيم" حتى لا تدنس أرضهم بأقدام الآخرين، كما اهتم فلاسفة الصين القدماء بأخلاق وشؤون المجتمعات البشرية من خلال الاتجاهات الواقعية العلمية في دراسة أمور الحياة الانسانية ومعالجتها، فمعرفة الأنماط السلوكية التي تربط بالبناء الاجتماعي في أي مجتمع تسهم في تقديم الدليل الواضح على التراث الثقافي لهذا المجتمع.

بحيث يتضح لنا من خلال ما سبق أن الأنتروبولوجيا في العصر القديم لم تلق اهتماما كبيرا باستثناء أعمال المؤرخ الإغريقي (هيرودوتس) الذي قام بجمع معلومات وصفية دقيقة عن عدد كبير من الشعوب غير الأوروبية، أما الرومان فقدوا تميزوا بالعنصرية، واهتموا بالعمليات العسكرية وهو ما حال بينهم وبين تسجيل الخبرة الأنتروبولوجية وتدوينها في شكل كتب وأفكار نظرية، دون أن ننسى طبعا الصينيين القدماء الذين كانوا ينكرون الحضارات الأخرى، ورأو في حضارتهم على أنها الأسمى والأرقى، وبدورهم لم يتأثروا بالحضارات والثقافات الأخرى.

ثانيا: في العصور الوسطى.

تقع هذه الفترة بين القرن الرابع والقرن الرابع عشر، وهو تصنيف أوروبي يتموقع بين نهاية فترة الحضارة الأوروبية والفلسفات الكبرى (الإغريق والرومان)، وبداية النهضة الأوروبية (عصر التنوير)، وهذه الفترة تعتبر في تصورهم مرحلة (ظلامية) تراجع فيها الجانب الفكري بشكل كبير في أوروبا على كل المستويات مع سيطرة الكنيسة والفكر الخرافي، في حين كانت بداية ازدهار الحضارة الإسلامية وتقدمها وتطورها من جهة أخرى).

أ- العصور الوسطى في أوروبا:

يذكر المؤرخون أنه خلال العصور الوسطى تدهور الفكر العقلاني، وأدينت أية أفكار تخالف التعاليم المسيحية، أو ما تقدمه الكنيسة من تفسيرات للكون والحياة الإنسانية سواء في منشئها أو مآلها، ففي تلك العصور انتشر الارهاب الديني المسيحي وسيطرت الكنيسة سيطرة مطلقة على اتجاهات الفكر الاجتماعي.

فقد سادت في هذه الفترة الأفكار الظلالية والخرافية، من خلال سيطرة الكنيسة على الحياة الاجتماعية للأفراد، وحوكم كل من يخالف التعاليم المسيحية إما بالقتل أو النفي.

لقد ظهرت في هذه المرحلة محاولات عدة للكتابة عن بعض الشعوب، ولكن أغلبها اتسمت بالوصف التخيلي بعيدة عن المشاهدة المباشرة على أرض الواقع، مثال ذلك ما قام به الأسقف أسيدور (560-636 م) حيث أعد في القرن 7 ميلادي موسوعة عن المعرفة، وأشار فيها إلى بعض تقاليد الشعوب المجاورة وعاداتهم، لكن بطريقة وصفية عفوية تتسم بالسطحية والتحيز، ومما ذكره أن أبعد الشعوب عن أوروبا وأقربها عنها يحدد درجة تقدمها، فكلما كانت المسافة بعيدة كان الانحطاط والتهور الحضاري مؤكدا لتلك الشعوب.

ب- العصور الوسطى عند العرب:

وتمتد هذه المرحلة من القرن السابع ميلادي حتى نهاية القرن الرابع عشر تقريبا، حيث بدأ الإسلام في الانتشار، وبدأت معه بوادر الحضارة العربية الإسلامية أنذاك بالتكوين والازدهار، وقد تضمنت هذه الحضارة الأداب والأخلاق والفلسفة والمنطق، كما كانت ذات تأثيرات خاصة في الحياة السياسية والاجتماعية والعلاقات الدولية.

ويعتبر ابن بطوطة (1304-1378) أشهر رحالة عربي في العصور الوسطى، فقد انطلق من موطنه من شمال افريقيا في سلسلة من الأسفار إلى روسيا والصين والهند وسومطرة وكمبوديا ثم غرب إفريقيا شبه الصحراوية ومن ضمنها تمبكتو، وكان في مجمل ما قطعه من أسفاره خلال ثمانية وعشرون عاما...وتكشف رواية ابن بطوطة كثيرا من المعلومات عن الحكومات الاسلامية في زمانه، وكذلك تفصيلات من الممارسات الإسلامية والدينية والثقافية.

كما كانت لرحلات ابن بطوطة وكتاباته خصائص ذات طابع انتروبولوجي، بحيث برزت في اهتمامه بالناس ووصف حياتهم اليومية، وطابع شخصياتهم وأنماط سلوكهم وقيمهم وتقاليدهم، فمما كتبه في استحسان أفعال أهل السودان: "فمن أفعالهم قلة الظلم فهم أبعد الناس عنه وسلطانهم لا يسامح أحدا في شيء منه، ومنها شمول الأمن في بلادهم فلا يخاف المسافر فيها ولا المقيم من سارق ولا غاضب".

بحيث يمكن القول أن ابن بطوطة يعتبر من بين علماء العرب الذين برزوا في الحقل الأنتروبولوجي، من خلال اعتماده على أداة المشاهدة المباشرة ووصف حياة الشعوب وتقاليدهم، بحيث نجد أنه سار على منهج علمي خلاف الفلاسفة والأنتروبولوجيين السابقين، وهو ما ميزه عنهم.

وكان في الوقت نفسه عالم عربي آخر وهو (عبد الرحمن ابن خلدون) قد أرسى قواعد المنهج لدراسة المجتمع، وطبيعة العمران البشري، ودورة الحضارات، وسبق في ذلك بقرون عديدة فلاسفة التاريخ وعلماء الاجتماع والأوروبيين، بحيث يرى بعض الكتاب العرب في ابن خلدون على أنه المؤسس الحقيقي لعلم الاجتماع، كما حاول بخبرته الثرية في مختلف الحكومات الإسلامية إضافة إلى ملاحظاته وقراءاته الواسعة أن يؤسس (دراسة المجتمع البشري في أشكاله المختلفة كافة، وطبيعة خصائص كل شكل من هذه الأشكال، والقوانين التي تتحكم في تطوره).

أما كتاب اب خلدون "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" فقد شهرة كبيرة وواسعة بسبب مقدمته الرئيسية وعنوانها: "في العمران وذكر ما يعرض فيه من العوارض الذاتية من الملك والسلطان، والكسب والمعاش والمصانع والعلوم، وما لذلك من العلل والأسباب"، وتعتبر هذه المقدمة عملا أصيلا في تسجيل الحياة الاجتماعية لشعوب شمال إفريقيا، ولا سيما العادات والتقاليد والعلاقات الاجتماعية، إلى جانب بعض المحاولات النظرية لتفسير كل ما رآه من أنظمة اجتماعية مختلفة، وقد شكلت موضوعات هذه المقدمة –فيما بعد– اهتماما رئيسيا في الدراسات الأنتروبولوجية.

ومن أهم الموضوعات التي تناولها ابن خلدون في مقدمته، والتي لها صلة باهتمامات الأنتروبولوجيا، تلك العلاقة بين البيئة الجغرافية والظواهر الاجتماعية، فقد رد ابن خلدون على اختلاف البشر في ألوانهم وأمزجتهم النفسية وصفاتهم الجسمية والخلقية، إلى البيئة الجغرافية التي اعتبرها أيضا عاملا مهما في تحديد المستوى الحضاري للمجتمعات الإنسانية، ويقول ابن خلدون: إن أحوال العالم والأمم وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر، وإنما هو اختلاف على الأيام والأزمنة وانتقال من حال إلى حال، وكما يكون ذلك في الأشخاص والأوقات والأمصار، فكذلك يقع في الآفاق والأقطار والأزمنة والدول، فعمر الدول عند ابن خلدون كعمر الكائن البشري، تبدأ بالولادة وتنمو إلى الشباب والنضج والكمال، ثم تكبر وتهرم وتتلاشى إلى الزوال.

وقد برز العرب أيضا في إعداد المعاجم الجغرافية، كمعجم البلدان لـ (ياقوت الحموي)، وكذلك في إعداد موسوعات كبيرة بلغت ذروتها في القرن الرابع عشر ميلادي، مثل مسالك الأمصار لـ (إبن فضل الله العمري)، ونهاية الأرب في فنون العرب للنويري، وقد اهتمت هذه الكتب عادة بشؤون العمران، كما تميزت مادتها بكونها تعتمد على المشاهدة والخبرة الشخصية، الأمر الذي جعلها مادة خصبة من ناحية المنهج الأنتروبولوجي في دراسة الشعوب والثقافات الإنسانية.

جـ- عصر النهضة الأوروبية:

يتفق المؤرخون على أن عصر النهضة في أوروبا بدأ في نهاية القرن الرابع عشر ميلادي، حيث شرع الأوروبيون بعملية دراسة انتقائية للعلوم والمعارف الإغريقية والعربية، مترافقة بحركة ريادة نشطة للاستكشافات الجغرافية، وتبع ذلك الانتقال من المنهج الفلسفي إلى المنهج العلمي التجريبي، في دراسة الظواهر الطبيعية والاجتماعية، والذي تبلور وتكامل في القرن السابع عشر، وقد سميت هذه المرحلة بعصر التنوير، نسبة لتطور العلوم في أوروبا، وذلك باعتمادهم على العلوم التي أخذوها من الحضارات العربية والإغريقية.

ففي هذا العصر ظهرت المدونات والكتابات الكثيرة في أدبيات الرحلات التي زخرت بمعلومات عن حياة الشعوب غير الأوروبية، وقد ساعد اكتشاف الطباعة في ألمانيا، ظهور أول كتاب مطبوع عام 1457م، على رواج تلك المؤلفات وشيوع ما بها من معلومات.

ولعل أهم رحلة أو (رحلات) استكشافية مشهورة أثرت في علم الأنتروبولوجيا ما قام بها (كريستوف كولومبوس) إلى القارة الأمريكية ما بين (1492-1502) حيث زخرت مذكراته عن مشاهداته واحتكاكه بسكان العالم الجديد، بالكثير من المعلومات والمعارف عن أساليب حياة تلك الشعوب وعاداتها وتقاليدها، اتسمت بالموضوعية نتيجة المشاهدة المباشرة.

وقد تكون محاولة الرحالة الإسباني (جوزيه أكوستا) في القرن السادس عشر لربط ملاحظاته الشخصية عن السكان الأصليين في العالم الجديد ببعض الأفكار النظرية، المحاولة الأولى لتدوين المادة الإثنوغرافية والتنظير بشأنها، فقد افترض أكوستا أن الهنود الحمر كانوا قد نزحوا أصلا من آسيا إلى أمريكا، وبذلك فسر اختلاف حضاراتهم عن تلك التي كانت سائدة في أوروبا حينذاك، وقدم أيضا افتراضا آخر حول تطور الحضارة الإنسانية عبر مراحل معينة، معتمدا في تصنيفه على أساس معرفة الشعوب القراءة والكتابة.

أما في ألمانيا فقد تبلور الفكر في عصر التنوير عن التفوق العنصري والنزعة القومية الشوفينية (التعصبية)، وظهر ذلك واضحا في كتابات جورج هيجل (1770-1831) وجوهان فخته (1762-1814)، حيث جعلا الشعب الألماني الشعب الأمثل والأنقى بين الشعوب.

بالإضافة لظهور مؤلف آخر جوهان هيردر (1733–1803)، والذي أكد على تمايز السلالات وفقا لـ: تركيبتها البشرية، تأثرها بمظاهر المدينة، رؤيتها لمقومات الحضارة، وقد قسم السلالات إلى نوعين: نوعية خلقت للرقي، وأخرى محكوم عليها بالتخلف والانحطاط.

وتبعا لما سبق يتبين لنا أن عصر النهضة الأوروبية شهد تغيرات عديدة أسهمت في تطور الفكر الأنتروبولوجي، من خلال قيام العديد من الرحالة كـ كريستوف كولومبوس و جوزيه أكوستا باكتشاف الدول والمناطق، وهو ما ساعدهم في التعرف على عادات وتقاليد وأسلوب حياة الشعوب بالنسبة للدراسات الإثنوجرافية، وكذلك دراسة نظم الحياة الاجتماعية السائدة في تلك الفترة ومقارنتها ومحاولة الوصول إلى قولنين تنظم حياة المجتمع والتي تصنف ضمن الدراسات الإثنولوجية، بالإضافة إلى ظهور بعض المؤلفين الألمان والذين تميزوا بالنزعة التعصبية، ورأو في الشعب الألماني على أنه أسمى وأنقى الشعوب وأطلقوا عليه أنه شعب خلق للرقي، بينما الشعوب الأخرى رأو أنها متخلفة ومنحطة وقالوا أن هذه الشعوب محكوم عليها بالتخلف والانحطاط، إلى جانب ظهور العديد من الأعمال لكتاب ومؤلفين آخرين كـ ديمونتسكيوا.

د– القرن العشرين:

رغم النهضة الكبيرة التي عرفتها أوروبا في القرن 18 و 19، إلا أن الحرب العالمية الأولى ونواتجها جعلت المفكرين ينقسمون إلى شقين: شق متشائم لما وصلت إليه البشرية يرى مستقبلها غامضا ومخيفا، وقد بتلور في أعلى ذروته مع "الوجودية" التي انتشرت في فرنسا مع جون بول سارتر (1905–1980)، وشق آخر متفائل يرى مستقبل الإنسانية أكثر إشراقا ناهض التوجهات الميتافيزيقية يمثله الأمريكي جون ديوي (1859–1952) الذي يعتقد أن للإنسان الكثير من المؤهلات والقدرات التي تسمح له بالخروج من أزمته، وفي نفس الوقت بدأ الفكر الديني يتفتح على الحوار والنقاش ويتخلى عن نزعته التسلطية، وفي ظل هذه التحولات نشأت الأنتروبولوجيا باعتبارها علما مستقلا بذاته، وقد مرت بمرحلتين:

1- مرحلة التأسيس النظري: ظهرت خلال هذه الفترة العديد من الدرسات الأنتروبولوجية الدقيقة والتي أسست لهذا العلم، فأعمال هذه المرحلة كانت أكاديمية ولكنها تفتقر إلى الملاحظة بالمشاركة، ويمثلها كل من:

أ- إدوارد برنت تايلور (1832-1917): الإنجليزي وهو أول من عين أستاذا للأنتروبولوجيا في العصر الحديث، وكان ذلك في جامعة أوكسفورد عام 1884، من أعماله أبحاث التاريخ القديم للجنس البشري 1885، الحضارة البدائية 1871.

ب- ماكلينان (1827-1881): الإنجليزي وأعماله عن الزواج البدائي عام 1865.

جـ- جيمس فرايزر الأسكتلاندي (1854-1941): ولأعماله حول الأساطير في كتابه الغصن الذهبي، والذي عين أستاذا بجامعة لندن عام 1908.

يتبين لنا من خلال مرحلة التأسيس النظري أن هذه الأعمال اتسمت بالوصف والتخيل فقط، ولم تتميز بالملاحظة بالمشاركة وكذا معايشة المجتمع المدروس، فقد كانت عبارة عن أعمال نظرية مستندة على أعمال سابقة وهذا ما تعاب عليه.

2- مرحلة العمل الميداني: في هذه المرحلة أصبح العمل الميداني جزءا من عمل الباحث الأنتروبولوجي، ومن أهم الرواد الأوائل نذكر:

أ- برانسلاو مالينوفسكي: (1884-1942) البولوني، عين أستاذا بجامعة لندن، وكانت أعماله الميدانية عن سكان جزر التروبرياند (مدة أربع سنوات) بميلانيزيا بجوار أستراليا، ومن مؤلفاته: مغامرات المحيط الهادي الغربي 1922، الحياة الجنسية للمجتمعات في شمال غربي ميلانيزيا 1929.

ب- هادون: (1855-1940): عين أستاذا بجامعة كمبردج عام 1900، دارت أعماله الميدانية حول منطقة مضايق (توريس) مع إحدى البعثات العلمية.

جـ- راد كليف براون: (1881-1955) أستاذ بجامعة أوكسفورد، وتمت أبرز أعماله الميدانية عن السكان الأصليين لأستراليا (الأبوريجان) وسكان خليج البنغال، من مؤلفاته: سكان جزر الأندمان 1922، البناء والوظيفة في المجتمع البدائي 1942، المنهج في الأنتروبولوجيا 1958.

إلى جانب هؤلاء الرواد ظهروا علماء معاصرين في ميدان الأنتروبولوجيا مثل : روث بندكت (1887-1948)، ابراهام كاردينار (1891-1981)، وكذا مارغريت ميد (1887-1971).

وتبعا لما سبق يمكن القول أن مرحلة العمل الميداني تعتبر من أبرز المحطات في مسار الأنتروبولوجيا، بحيث أن العمل ارتكز على الميدان، عكس المرحلة الأولى التي كانت البحوث نظرية تتسم بالوصف والتخيل، وهو ما ساهم في قيام الأنتروبولوجيا كعلم مستقل له منهجه وأدواته وكذا رواده بالإضافة لأهم أفكاره ومصطلحاته.

المحاضرة الخامسة: الفرق بين الأنتروبولوجيا الاجتماعية والثقافية.

يفرق الكلاسيكيون في الأنتروبولوجيا بين الاجتماعي والثقافي، إذ يرون أن الأول يؤطر منتوج الإنسان، في حين يشمل الثاني المنتوج ذاته، ما ولد اختلافا بين الأنتروبولوجيا الثقافية والاجتماعية، فنجد أن المدرسة البريطانية ترى أن الجانب الاجتماعي هو الكل، والثقافة ماهي إلا جزء من المجتمع، في حين نجد المدرسة الأمريكية ترى أن الثقافة أشمل من غيرها ولا معنى للاجتماعي دونها، وهناك اتجاه محايد يندرج اسمه ضمن اللافرق، أي أنه لا يفرق بين كل من الأنتروبولوجيا الاجتماعية والثقافية.

1- الأنتروبولوجيا الاجتماعية:

تمثل الأنتروبولوجيا الاجتماعية أحد فروع الأنتروبولوجيا العامة التي تهتم بدراسة الإنسان، كما تهتم بدراسة السلوك الاجتماعي الذي يتخذ في العادة شكل نظم وأنساق اجتماعية أو اقتصادية أو إجراءات قانونية وكذا العبادات الدينية وغيرها، كما تدرس العلاقة بين هذه النظم سواء في المجتمعات المعاصرة أو المجتمعات التاريخية.

ويمكن اعتبار الأنتروبولوجيا الاجتماعية فرعا من الدراسات الاجتماعية، والفرق بينها وبين علم الاجتماع هي أن هذا الأخير يهتم بدراسة ظواهر محددة أو مشكلات معينة في المجتمعات المتحضرة كالجريمة والبغاء والإدمان والطلاق وتنظيم النسل والهجرة والاضطرابات العمالية ...إلخ، فقد نجد كذلك أن هناك اختلافات من حيث أسلوب الدراسة، فبينما يعتمد الباحث الاجتماعي على الوثائق والاحصائيات أو على الدراسة الميدانية التي تقوم على ملء الاستمارات أو الاستبيان، نجد بالمقابل أن الباحث الأنتروبولوجي لديه وسائل خاصة، في صورة الإقامة ومعاشرة المجتمع المراد دراسته والإحاطة به من كل

الجوانب، من خلال دراسة البيئة وكذا الاعتماد على الحفريات، وقد يلجا إلى المختبرات بهدف الكشف عن مواد ومعرفة تاريخها وكذا أصلها، ويدرس كذلك نظم القرابة والسلالات البشرية ...إلخ.

2- الأنتروبولوجيا الثقافية:

تعتبر أحد فروع الأنتروبولوجيا التي تهتم بدراسة السلوك الانساني في ماضيه وحاضره، ولما كانت ثقافة الإنسان (العرف والتقاليد والمعتقدات والممارسات...)، هي الوسيلة التي تمكنه من الاتصال بالآخرين سواء جماعته المحلية أو الجماعات الأخرى المحيطة بها، لها خصائص اجتماعية في بيئتها الطبيعية المتباينة، لذا كان أحد أهداف الأنتروبولوجيا الثقافية دراسة هذا التباين أو التشابه الثقافي هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى الاهتمام بتاريخ هذه الثقافات وأصولها ونموها وتطورها، كما تنقسم الأنتروبولوجيا الثافية إلى ثلاثة فروع رئيسية كالتالي:

أ- الأركيولوجيا: Archaeology

يستهدف هذا الفرع دراسة الثقافات القديمة أو بمعنى أدق عملية التطور الثقافي للثقافات المعاصرة وكيف وصلت إلى حالتها الراهنة، يقول توماس دافيد Thomas David في كتاب له بعنوان التنبؤ بالماضي (أن الأركيولوجيا هي دراسة الماضي أو دراسة الإنسان في عهوده القديمة وهي ترتكز على الجانب المادي لثقافة الإنسان).

فالأركولوجي يعمل في ظروف مغايرة ويستهدف مادة أكثر غموضا وإبهاما، يبحث عن البقايا المدفونة للشعوب القديمة بسيطة التركيب، كما أنه يحاول إعادة بناء الأشكال الثقافية من خلال استقرائه للبقايا والأطلال المادية التي تركها الإنسان القديم كالمسكن والمأوى والكهوف والقلاع.

ب- الإثنولوجيا: Ethnology

يمكن القول أن موضوع الأثنولوجيا الرئيسي هو الثقافة أي أنها تركز على دراسة سلوك الانسان أينما وجد سواء في المنطقة القطبية الشمالية أو في الغابات الإفريقية أو المحيطات أو في المدن الكبرى، فالإثنولوجيون يستهدفون تسجيل الأشكال والأنماط السلوكية في أي مكان سواء أكان المجتمع بدائيا أو متحضرا بغية الوصول إلى الخصائص الثقافية للجماعات البشرية المختلفة، فالإثنولوجي قد يكرس جهوده لمشكلة المشابهة والاختلاف القائمة بين الثقافات الفرعية المتباينة داخل الإقليم الواحد.

فالإثنولوجيا تهتم بتجميع الدراسات الوصفية المونوغرافية والإثنوغرافية لمختلف الثقافات ومحاولة مقارنتها زمانيا ومكانيا واستخلاص القوانين التي تحكم الحياة الاجتماعية لهذه الشعوب.

جـ- اللغويات Linguistics

تهتم بعنصر حيوي من عناصر الثقافة ألا وهي اللغة، باعتبارها الوسيلة الأولى للإرتباط البشري وأداة نقل الأفكار أو التعبير عن الفكرة بالكلمات أو الإشارات أو الرموز أو الصور أو الأشكال، وقد زاد الاهتمام بدراسة اللغات منذ القرن السابع عشر، ولكن تضاعف الاهتمام في القرن الثامن عشر، حيث وجه الباحثون اهتمامهم إلى محاولة معرفة أصل اللغات والمقارنة بينها، فالأنتروبولوجي المتخصص في اللغويات قد يجيد عدد من اللغات وقد لا يجيد، لكن وظيفته تنحصر في البحث عن أصل اللغات وتعقيداتها وأشكالها الرمزية للإتصال.

قائمة المراجع:

01- بيرتي ج بيلتو .دراسة الأنتروبولوجيا المفهوم والتاريخ. ط1، ترجمة: كاضم سعد الدين، بغداد: بيت الحكمة للنشر، 2010.

02- حسين فهيم .قصة الأنتروبولوجيا فصول في تاريخ الإنسان. د.ط، الكويت: عالم المعرفة، 1987، ص 50.

03- عيسى الشماس .مدخل إلى علم الانسان (الأنتروبولوجيا). د.ط، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2004.

04- فاروق مصطفى اسماعيل .الأنتروبولوجيا الثقافية. د.ط، الإسكندرية: الهيئة العامة المصرية للكتاب، 1980.

05- غراز الطاهر .محاضرات في مقياس انتروبولوجيا اجتماعية وثقافية. مطبوعة للسنة الثانية علم اجتماع، قسم علم اجتماع، جامعة الصديق بن يحي جيجل، 2018-2019.

06- خواجة عبد العزيز محمد .محاضرات في الانتروبولوجيا الاجتماعية والثقافية. محاضرات موجهة لطلبة العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة غرداية، الجزائر 2014-2015.

https://www.researchgate.net/publication/320004529